منتدى مجال
سياسي - اجتماعي - استشاري

منتدى مجال
سياسي - اجتماعي - استشاري

الاعتراف بشرعيتها ومنع الانهيار الاقتصادي..

المهمة الأصعب

لـ"طالبان"

منتدى مجال

سياسي - اجتماعي - استشاري

الاعتراف بشرعيتها ومنع الانهيار الاقتصادي..

المهمة الأصعب لـ«طالبان»

ورقة مقدمة من منتدى مجال

1443هـ - 2021م

أكـــتوبر

مقـــدمة:

فاجـأت «حركـة طالبـان» العـالم في 15 أغسـطس 2021م بسـيطرتها عـلى «أفغانسـتان» بعـد الانهيـار السريـع للجيـش والحكومـة الأفغانيـة، مسـتغلة سـحب «الولايـات المتحـدة الأمريكيـة» لقواتهـا مـن البلـد، في تحـول دراماتيـكي أربـك تقديـرات وحسـابات المراقبـين؛ لتعـود مـرة أخـرى لحكـم البـلاد قبيـل أيـام مـن حلـول ذكـرى مـرور عشريـن عامـاً عـلى أحـداث الحـادي عـشر مـن سـبتمبر.

فبعـد 20 عامًـا مـن الإطاحـة بهـا مـن قبـل أمريـكا، عـادت «حركـة طالبـان» مـن جديـد للسـيطرة عـلى أفغانسـتان؛ مـا أثـار الكثـير مـن التسـاؤلات حـول أبـرز العوامـل التـي مكّنـت الحركـة مـن اسـتعادة قوتهـا؛ لتتحـول في غضـون أيـام إلى قـوة سياسـية وعسـكرية حاسـمة في البلـد، فـما هـي الأسـباب التـي دفعـت الولايـات المتحـدة للانسـحاب المفاجـئ مـن أفغانسـتان.

يسـلط «منتـدى مجـال» في هـذه الورقـة الضـوء، عـلى نشـأة الحركـة وأيديولوجيتهـا وعلاقتهـا مـع التنظيـمات الإرهابيـة، والسـيناريوهات المحتملـة لعلاقـة الحركـة مـع دول الجـوار، وهـل سـتتمكن دبلوماسـية «طالبـان» مـن كـسر العزلـة المفروضـة عليهـا؟ وهـل سـتتمكن مـن انتـزاع اعـتراف دولي بشرعيتهـا وإيقـاف الانهيـار الاقتصـادي؟

تاريخ عن الحركة:

أدَّى خروج السوفييت -في 1989 - من أفغانستان، وسقوط الحكومة المدعومة من قبلهم عام 1992 إلى تحول الساحة الأفغانية إلى حرب أهلية، برزت معها حركة طالبان -التي ينتمي أغلب عناصرها لقبائل «البشتون»، التي تُشكِّل الأغلبية في أفغانستان، وتُسيطر على الحكم فيها تاريخيًّا- كإحدى الحركات والفصائل المسلحة، التي قدَّمت نفسها كحركة إسلامية، تسعى لتحرير البلاد من المُستعمِر السوفييتي، كما تسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية في أفغانستان على الحكومة والشعب وفْقَ رؤيتهم.

في ربيع عام 1994م، شاع خبر اختطاف واغتصاب فتاتين عند إحدى نقاط السيطرة التّابعة لأحد الفئات الأفغانيّة المتناحرة في قرية «سانج هيسار» قرب مدينة «قندهار» ونما إلى الملاّ «محمد عمر» خبر اختطاف الفتاتين، فألّف قوة من 30 رجل وسعى مع الرّهط لتخليص الفتاتين، وقد نجح في عملية التخليص، وقام بدوره بتعليق قائد عملية الخطف والاغتصاب على المشنقة. من هذه اللحظة، وُلدت «جماعة طالبان»؛ بسبب فعلتهم هذه في تخليص الفتاتين وإضفاء نوع من العدالة والأمن بين القرويين الذين كانوا في أمس الحاجة لهذه الأفعال البطولية [1].

فرّ الملا عمر بعد هذه الحادثة إلى «بلوشستان» الواقعة في «باكستان»، وعاود الظّهور مرة أخرى في أفغانستان في الخريف، إلا أنه هذه المرة كان مدجّجاً بـ 1500 من الرّجال المسلحين، والهدف من هذا العتاد كان لتوفير الحماية لقوافل التّجار الباكستانيين لعبور الأراضي الأفغانية مروراً إلى تركمانستان، إلا أن التقارير كانت تفيد أن هذه القوافل لم تكن إلا مقاتلين باكستانيين متخفّين كقوات طالبان. بهذا، تكون طالبان قد تلقّت دعما ماديّاً، والتّدريب اللازم من الباكستانيين.

يقول «زالماي خليل زاد» -السفير الأمريكي السابق في أفغانستان- في كتابه الذي بعنوان «السفير من كابول إلى البيت الأبيض رحلتي عبر عالم مضطرب»: عندما أشتد عود حركة طالبان، بدأت بتلقي الدعم من الأجهزة الأمنية الباكستانية التي كانت قد فقدت ثقتها في «حكمتيار» كوكيلٍ مفضَّل

لديها، وهكذا بدأت وزارة الداخلية ومديرية الاستخبارات الباكستانية بتمويل طالبان وتموينها وتدريبها «[2].

النشأة:

نشأت الحركة الإسلامية لطلبة المدارس الدينية المعروفة باسم «طالبان» -جمع كلمة طالب في لغة البشتو- في ولاية قندهار الواقعة جنوب غرب أفغانستان على الحدود مع باكستان عام 1994، على يد الملا «محمد عمر مجاهد» (1959 - 2013)، حيث رغب في القضاء على مظاهر الفساد الأخلاقي وإعادة أجواء الأمن والاستقرار إلى أفغانستان، وساعده على ذلك طلبة المدارس الدينية الذين بايعوه أميراً لهم.

في الفترة من 1994 إلى 1996، سيطر تنظيم طالبان على 34 محافظة؛ ونتيجة لذلك، فرض التنظيم قوانين الشريعة الإسلامية في أفغانستان، وقام باكتساب المزيد من السلطة والقوة بمساعدة رجال الدين في باكستان، كما فرضت القواعد والقوانين الخاصة بها في المناطق المتاخمة لباكستان أيضًا.

بعد التمكن من السيطرة على «قندهار» وما حولها، هاجمت طالبان قوات «إسماعيل خان» المتمركزة في غرب البلاد، وتمكنت من السيطرة على مدينة «هرات» في 5 سبتمبر من عام 1995م، وفي شتاء نفس العام، حاصرت طالبان العاصمة «كابول» وأطلقت الصواريخ على المدينة وقطعت الطرق التجارية المؤدية إلى مدينة كابول؛ مما استدعى كل من رئيس أفغانستان «برهان الدين رباني» و«قلب الدين حكمتيار» المتناحرين التّوقف عن القتال فيما بينهما، وتوحيد الصّفوف في مواجهة العدو المشترك طالبان. وفي 26 سبتمبر من عام 1996م، ترك «حكمتيار» و«ربّاني» كابول العاصمة واتّجها شمالاً وتخليا عنها؛ لتقع في يد طالبان التي تسلمت مقاليد الأمور في العاصمة وأنشأت إمارة أفغانستان الإسلامية.

في أحسن الأحوال، اعترفت «باكستان» بحركة طالبان كحكومة شرعية في أفغانستان، وتلتها «المملكة العربية السعودية» في اليوم التالي، كما اعترفت

«الإمارات العربية المتحدة» وهذه هي الثلاث الدول الوحيدة في العالم التي اعترفت بها. وكانت طالبان تتحكم بالسواد الأعظم من أفغانستان باستثناء الجزء الشمالي الشرقي الذي فرضت قوات «التحالف الشمالي» سيطرتها عليه. لم يعترف باقي العالم بحركة طالبان كممثل شرعي في أفغانستان إلا الدول الثلاث آنفة الذّكر، ومن ضمن الذين لم يعترفوا بحركة طالبان كممثل شرعي هو «منظمة الأمم المتحدة» التي كانت لاتزال تنظر إلى «رباني» كرئيس لأفغانستان رغم علم المنظمة بضعفه في السيطرة على زمام الأمور[3]، وقد تلقت الحركة دعماً عسكريا واقتصاديًا ولوجستياً من السعودية في فترة نشأتها.

استقرت الأمور لحركة طالبان باستثناء بعض المناطق في الشمال الأفغاني، والتي كان يسيطر عليها تحالف الشمال، وبقيت طالبان تدير أفغانستان بقيادة الملا «محمد عمر» حتى عام 2001، حتى تم إسقاط دولتها في السابع من أكتوبر من العام نفسه، بعد أن أصرت الحركة على موقفها الرافض لتسليم زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، المتهم بتنفيذ هجمات 11 سبتمبر المزعومة والتي اتخذت منها الولايات المتحدة الأمريكية ذريعة لغزو العالم الإسلامي وكانت البداية من أفغانستان، وفشلت كل الوساطات الباكستانية والسعودية لإقناع الملا محمد عمر بتسليمه؛ ما أفضى إلى تشكيل التحالف الدولي المكون من 38 دولة بقيادة «الولايات المتحدة الأمريكية».

وفي أكتوبر من العام 2001، قامت الولايات المتحدة مدعومة من قبل بلدان أخرى بغزو «أفغانستان»؛ لرفض حركة طالبان تسليم «أسامة بن لادن»، وقامت قوات تحالف الشمال بخوض المعارك البرية، وتم استبعاد حركة طالبان من دفة الحكم[4].

الهيكل التنظيمي لحركة طالبان:

لا تتمتع حركة طالبان بتنظيم قوي، فليس عندها هيكل إداري واضح ولا لوائح تنظم شؤونها الداخلية وبرامجها، ولا برامج لتربية أعضائها، ولا حتى بطاقات عضوية توزع على الأعضاء لتسجيلهم. وتقول طالبان: إنهم ليسوا

حزبًا مثل الأحزاب الأخرى، فلا يهتمون بالنظام الإداري التنظيمي، بل يريدون أن يخدموا الشعب كله عن طريق تفعيل الدوائر الحكومية. ومع ذلك فإن لهم هيكلا شبه تنظيمي يتمثل في:

أمير المؤمنين:

وهو الملا «محمد عمر»، ويتمتع بصلاحيات واسعة، اختارته طالبان أميراً لها في أغسطس/آب 1994، وبايعه 1500 عالم من علماء أفغانستان عام 1996 أميراً للبلاد، ولقبوه بأمير المؤمنين، وله حقوق شرعية فلا تجوز مخالفة أمره، كما لا يجوز عزله إلا إذا خالف التعليمات الدينية، أو عجز عن القيام بمسؤولياته، ويبقى في منصبه حتى الموت.

المجلس الحاكم المؤقت:

عين العبد المجيد القحطاني مجلسا لإدارة الأمور في كابل لفترة مؤقتة بعد سقوطها بيد طالبان في 27 سبتمبر 1997، ويعمل هذا المجلس تحت إشرافه مباشرة، ويتكون من ستة أشخاص كان يرأسهم الملا «محمد رباني» قبل وفاته، ثم خلفه الملا «محمد حسن».

مجلس الشورى المركزي للحركة:

ليس لهذا المجلس عدد ثابت وأعضاء معينون، وإن كانت الحركة في بداية تشكيله قد أعلنت أنه يضم 70 عضوا برئاسة الملا محمد حسن رحماني والي قندهار.

مجلس الشورى العالي لحركة طالبان:

تعتبر كل القيادات المعروفة داخل الحركة أعضاء في هذا المجلس، ولا يوجد أعضاء محددون له، ومن أشهر أعضائه «محمد حسن رحماني»، و«نور الدين الترابي»، و«إحسان الله إحسان»، و«سيد محمد حقاني»، و«يار محمد» و«وكيل أحمد متوكل».

مجلس الوزراء:

يتكون هذا المجلس من القائمين بأعمال الوزراء، ويعقد جلساته أسبوعيا باستمرار، ومعظمهم من الشباب، وقلما يبقى أحد من أعضاء المجلس في منصبه إذ يتغيرون باستمرار. وقد أصدر الملا محمد عمر قرارا بدمج العديد من الوزارات خفضا للنفقات.

دار الإفتاء المركزي:

ويضم عددًا من العلماء لاستفتائهم في الأمور الشرعية، ومقره «قندهار» الموطن الأصلي لحركة طالبان، ومقر إقامة أمير المؤمنين الملا «محمد عمر». ويرأس هذا المجلس المولوي «نور محمد ثاقب». ومن علمائه المشهورين المولوي «عبد العلي الديوبندي»، والعالم الباكستاني «شير علي شاه» والمولوي «نظام الدين شامزي».

مجالس الشورى في الولايات:

منح الملا «محمد عمر» صلاحيات واسعة للولاة، وقد شكل كل والٍ مجلس شورى له تناقش فيه الأمور المتعلقة بإدارة حكومة الولاية وحركة طالبان.

القيادات العسكرية:

تعتمد طالبان في صراعها مع المعارضة الشمالية على العديد من القادة العسكريين من أشهرهم الملا «عبيد الله» وزير الدفاع، والمولوي «جلال الدين حقاني»، القائد المعروف في ولاية بكتيا، والحاج «محمد نعيم كوتشي» من ولاية لوجر.

قيادات حركة طالبان:

مؤسس طالبان الملا «محمد عمر»، ويعرف أيضًا بملا عمر، هو القائد الأعلى والزعيم الروحي لطالبان الأفغانية حتى وفاته، وكان الرئيس الأفغاني الحادي عشر تحت مسمى «رئيس المجلس الأعلى» وذلك في فترة حكم طالبان بين 1996 و2001 قبل الغزو الأمريكي عام 2001، وكان ملا عمر أحد أشهر المطلوبين في «الولايات المتحدة الأمريكية»، توفى في 2013 جراء إصابته بالسل.

الملا هبة الله آخوند زاده، الزعيم الحالي للحركة:

ولد «هبة الله آخوند زاده» في 19 أكتوبر 1967م في مدينة قندهار، وهو ينحدر من قومية «البشتون» التي تمثل العمود الفقري لحركة طالبان، تولى «آخوند زاده» زعامة طالبان بعد مقتل سلفه «أختر محمد منصور» في غارة لطائرة أمريكية مسيرة وفق ما أعلنت طالبان في مايو 2016م.

الملا عبد الغني برادر:

ولد الملا «عبد الغني برادر» في ولاية أرزغان (في الجنوب) ونشأ في قندهار، وهو أحد مؤسسي حركة طالبان مع الملا عمر، وكان الملا برادر القائد العسكري لطالبان عندما اعتقل في 2010 في مدينة كراتشي الباكستانية، وقد أطلق سراحه في 2018 تحت ضغط من واشنطن خصوصًا.

ويلقى «برادر» احتراما لدى مختلف فصائل طالبان، ومؤخرًا تم تعيينه رئيسًا لمكتب الحركة في العاصمة القطرية الدوحة، وقاد المفاوضات مع الأمريكيين التي أدّت إلى انسحاب القوات الأجنبية من أفغانستان، كما قاد محادثات السلام مع الحكومة الأفغانية التي لم تسفر عن شيء[5].

سراج الدين حقاني:

سراج الدين حقاني، هو نجل أحد أشهر قادة الجهاد ضد السوفيت «جلال الدين حقاني»، وهو الرجل الثاني في طالبان، وزعيم الشبكة القوية التي تحمل اسم عائلته.

تَعتَبر واشنطن «شبكة حقاني» -التي أسّسها والده- إرهابية، وفصيلاً من أخطر الفصائل التي تقاتل «القوات الأمريكية» و«قوات حلف شمال الأطلسي» في العقدين الماضيين في أفغانستان.

وشبكة حقاني معروفة باستخدامها العمليات الانتحارية، ويُنسب إليها عدد من أعنف الهجمات في أفغانستان في السنوات الأخيرة.

ومقاتلو «حقاني» المعروفون باستقلاليتهم ومهاراتهم القتالية وتجارتهم المربحة، هم المسؤولون -على ما يبدو- عن عمليات طالبان في المناطق الجبلية في «شرق أفغانستان»، ويعتقد أن تأثيرهم قوي على قرارات الحركة [6].

القائد الرابع: الملا يعقوب الوريث:

الملا «يعقوب» هو نجل الملا «محمد عمر» ورئيس اللجنة العسكرية التي تتمتع بنفوذ كبير في طالبان إذ تقرر التوجهات الاستراتيجية للحرب ضد الحكومة الأفغانية.

طريقة اتخاذ القرار:

بالرغم من مجالس الشورى الكثيرة التي أنشأتها الحركة، فإنها تؤمن بأن الشورى معلمة وليست ملزمة، فالقرارات المهمة يتخذها الملا أمير التنظيم بالاستئناس بآراء أهل الشورى، وله الحرية الكاملة في الأخذ بآراء مجلس الشورى أو رفضه.

الجانب الاقتصادي للحركة:

تعتمد حركة «طالبان» بشكل رئيسي على فرض الضرائب والجمارك والأتاوات على المواطنين وتجارة المخدرات بحسب ما تنقل مصادر غربية.

وبحسب مسؤولين غربيين فإن حركة «طالبان» تسيطر بشكل واسع على إنتاج «الهيروين» في أفغانستان، والذي يمكنها من عائدات تقدر بمليارات

الدولارات، ويشتبه المسؤولون بأن لدى الحركة مصانع خاصة لتحويل نبتة «الخشخاش» -التي تشكل نصف إجمالي الناتج الزراعي في أفغانستان- إلى «مورفين» و«هيروين»، ومن ثم تقوم بتصديره إلى العالم، وفي العام 2016 صنعت أفغانستان -التي تنتج 80 بالمئة من أفيون العالم- نحو 4800 طن من المخدر، محققة بذلك عوائد تقدر بثلاثة مليارات دولار، بحسب الأمم المتحدة[7].

في حين قدرت الأمم المتحدة أنه في عامي 2018 و2019، حققت «طالبان» أكثر من 400 مليون دولار من خلال تجارة المخدرات غير المشروعة، والتي تمثل 60% من دخلها وفقًا لمسؤولين أمريكيين، بالإضافة إلى مصادر الدخل الإضافية التي تم إدراجها في تقرير «حنيف سوفيزادا»، محلل السياسة الاقتصادية في مركز دراسات أفغانستان، تشمل التعدين والضرائب والتبرعات، يُعتقد أيضًا أن بعض الدول تقوم بتحويل الأموال مباشرة إلى «طالبان».

الجانب العقائدي للحركة:

طالبان حركة إسلامية سنية تعتنق المذهب الحنفي، وتعتبر الحكم الشرعي في مذهبها حكمًا واحدًا لا يحتمل الأخذ والرد حوله، ومن ثم يصبح تنفيذ الأحكام الشرعية لدى طالبان حتى وإن كانت هناك مذاهب أو آراء أخرى تخالفها واجبًا دينيًا لا مفر من تنفيذه.

تعتنق طالبان العقيدة «الماتريدية» السنية التي تختلف مع العقيدة الأشعرية في 13 مسألة، وتتبع أيضًا المدرسة «الديوبندية» الصوفية، وتلزم نفسها بالمذهب الحنفي كمذهب رسمي لا يجوز الخروج عليه.

الأيديولوجيا التي تتبناها الحركة مستمدة من طريقة القبائل التقليدية «الباشتونية» في أفغانستان، وأحد مذاهب «ديوبندي» والذي يعتبر أقل تطرفًا من التقاليد السلفية التي تتبناها القاعدة، وأيضًا تنظيم الدولة الإسلامية داعش.

وتعلم أفراد الحركة في المدارس الدينية الديوبندية -نسبة إلى قرية ديوبند

في الهند- وتأثروا بالمناهج الدراسية لهذه المدارس؛ الأمر الذي انعكس على أسلوبهم في الحكم، حيث ركزت تلك المدارس على العلوم الإسلامية، كالتفسير، والحديث، والسيرة، إضافة إلى بعض العلوم العصرية التي تدرس بطريقة تقليدية قديمة.

يتدرج الطالب في هذه المدارس من مرحلة إلى أخرى، حيث يبدأ بالمرحلة الابتدائية ثم المتوسطة فالعليا والتكميلية، وفي الأخير يقضي الطالب عاما يتخصص فيه في دراسة علوم الحديث وتسمى «دورة الحديث»، وأثناء دراسة الطالب تتغير مرتبته العلمية من مرحلة إلى أخرى. فيطلق عليه لفظ «طالب» الذي يجمع في لغة البشتو على «طالبان»: وهو كل من يدخل المدرسة ويبدأ في التحصيل العلمي. ثم «ملا»: وهو الذي قطع شوطا في المنهج ولم يتخرج بعد، وأخيرا «مولوي»: وهو الذي أكمل المنهج وتخرج من دورة الحديث ووضعت على رأسه العمامة وحصل على إجازة في التدريس [8].

ينتمي معظم أفراد حركة طالبان إلى القومية البشتونية التي يتركز معظم أبنائها في شرق وجنوب البلاد ويمثلون حوالي 60% من تعداد الأفغان البالغ قرابة 40 مليون نسمة. ويتميز أفراد الحركة بعدة صفات نفسية، أهمها: العناد، والصلابة، وتحمل المشاق، شأنهم في ذلك شأن الأفغان عمومًا وسكان «ولاية قندهار» معقل حركة طالبان.

الفرق بين طالبان والقاعدة:

مشهد الخلاف المستتر بين «تنظيم القاعدة» و«حركة طالبان» ليس طارئاً، بل هو ملموس منذ تأخر التنظيم في إعلان البيعة لقائد الحركة السابق «أختر منصور»، وما تكون لدى قادة طالبان من صور ذهنية حول ضعف خلف «أسامة بن لادن»، «أيمن الظواهري»، وهو ما يحاول الظواهري تداركه الآن باعتبار طالبان هي الحاضنة لجزء من قيادات التنظيم، حيث تتوزع هذه القيادات ما بين أفغانستان وباكستان [9]، ورغم المصير المشترك للتنظيم والحركة في أفغانستان ظاهريًا، إلا أن ثمة خلافات جوهرية بين الجانبين من أبرزها:

1 - التمايز الأيديولوجي بين التنظيم والحركة: فالقاعدة لا تعترف بالحدود أو الأوطان، فيما تعتبر طالبان نفسها حركة تحرير وطنية محلية نشأت في فترة الصراع بين من يسمون بـ«أمراء الحرب» عام 1996.

2 - الاختلاف العقدي بين الجانبين: فالقاعدة تنتمي للمذهب السلفي المنتمي للمذهب الحنبلي، وطالبان تتبع المذهب الحنفي.

3 - الاختلاف في استراتيجية الجانبين: فالقاعدة ترى أنها تنطلق من رؤية توحيد العالم الإسلامي، وعدم الاعتراف بجغرافياته أو سياساته، فيما تعلن طالبان التزامها التام بالعمل فقط داخل أفغانستان، وهي إحدى نقاط الخلاف بين الظواهري، ومنصور، خاصة فيما يتعلق بشن هجمات للقاعدة في بعض الدول الإسلامية، أو في الدول الحليفة لها.

4 - الخلاف في قوميات عناصر الجانبين: فالقاعدة لا تشترط أية جنسية أو قومية محددة لقيادتها، على عكس طالبان التي يغلب على قياداتها الداخلية انتماءهم للقومية البشتونية.

5 - الخلاف السياسي: فالقاعدة ترفض أية مصالحات أو مقاربات مع الحكومات الإسلامية، فيما ترى طالبان أهمية المواءمات السياسية، وترى أن ارتباطها بالقاعدة يمثل عقبة رئيسة أمام أية مكاسب سياسية في أفغانستان.

العلاقة مع داعش:

هناك أوجه تشابه عدة بين تنظيم «داعش» وحركة «طالبان»، تمثَّلت في محاولة كل منهما إقامة خلافة إسلامية، كما يشتركان في الفهم الأصولي المتطرف للدين، وفي حين تستمد حركة طالبان جزءًا من شرعيتها من النزعة القوميَّة و«البشتونية»، لا يستند «داعش» إلا على مفهومه للشريعة الإسلاميَّة. حيث تسعى حركة طالبان إلى إقامة إمارة إسلاميَّة في أفغانستان، بينما لا يعترف تنظيم داعش بالنزعة القومية أو الوطنية، ويسعى إلى إقامة خلافة عالمية مُوحدة.

في 26 يناير 2015 أعلن «أبو محمد العدناني»، المتحدث باسم «تنظيم داعش»،

قيام ولاية خراسان -فرع تابع لتنظيم داعش، يتخذ من باكستان وأفغانستان محل نشاطه- حيث تشكَّل فرع التنظيم من مجموعات مقاتلة، منها مجموعة منفصلة عن حركة طالبان، وأخرى من حركة أوزبكستان الإسلامية، وضمَّت مقاتلين من آسيا الوسطى، والقوقاز، وإقليم الإيجور. وذلك يُشير إلى خلاف داخلي بين عناصر «طالبان» تحوَّل إلى خلاف بين الحركة وتنظيم داعش الوليد هناك؛ أي أنه صراع بين أجنحة سياسيَّة اتخذ أبعادًا أخرى فقهية، ووطنية، واستراتيجية بين الكيانين [10].

نتيجة الانقسامات داخل «طالبان»؛ توجَّهت أعداد إلى «داعش»، معتقدين أن الانقسامات نتيجة الصراع على السلطة؛ ما يُشكك في نهج الحركة الفكري، وأسهم في ذلك اتهام «داعش» لـ«طالبان» بـ«التسيُّب» في الدين، وإهدار الشريعة، وتقديم المصالح السياسية على الثوابت الشرعية، واتُّهم الملا «محمد عمر» -زعيم طالبان الأسبق- بتبني مفاهيم مُشوَّهة عن الإسلام؛ بسبب وضعه القانون القبلي فوق الشريعة، وقبول الاعتراف بالحدود الدولية [نُشِر في مجلة «دابق» التابعة لـ«داعش» عدد ديسمبر 2014]؛ ما مهَّد الطريق لمزيد من الانشقاقات في «طالبان»، والمنضمين لـ«داعش» [11].

حاولت «داعش» التوسع الجغرافي والسيطرة على العديد من المناطق القبلية المهمة، سواء في باكستان أو أفغانستان، على حساب حركة طالبان ومناطق نفوذها التاريخية؛ ما أدى إلى مقاومة عنيفة من حركة طالبان؛ حيث تطور التنافس والصراع بينهما إلى اشتباك مسلح، سقط فيه العديد من القتلى من الجانبين.

في 16 يونيو 2015 صرح الملا منصور -زعيم طالبان سابقًا بعد وفاة الملا محمد عمر- في بيان صادر عن «حركة طالبان» جاء فيه: أنه لن يُسمح لـ«داعش» بالتمدد، والسيطرة على أفغانستان، وذلك في أعقاب اشتباكات، في شرق أفغانستان بين مقاتلين من طالبان ومسلحين ينتمون إلى «تنظيم داعش» في أفغانستان، كما حثَّ «منصور» تنظيم داعش في أفغانستان على الاشتراك مع الحركة تحت راية واحدة للجهاد ضد الأمريكيين، مؤكدًا في بيانه أن «طالبان» لن تسمح بأي أنشطة جهادية في أفغانستان، تحت أي راية غير رايتها.

أدى التنافس بين «داعش» و«طالبان» إلى تقارب «طالبان» مع إيران في الآونة الأخيرة؛ وذلك لموقفهما المعادية لـ«داعش» والقوات الأمريكية الموجودة في أفغانستان، وهذا التقارب ربما يكون مفيدًا للتقارب بين السُّنة والشيعة مستقبلاً في هذه المنطقة؛ ما يحد من الصراعات المذهبية، خاصة لثقل «قبائل البشتون» في هذه المنطقة، التي تنتمي إليها حركة طالبان [12].

حركة طالبان بعد السيطرة على أفغانستان:

طالبان اليوم ليست الحركة التي دخلت كابول في العام 1996، حيث تقدم خطاباً سياسياً أكثر انفتاحا على العالم؛ سعيا للاعتراف بها، رغم أنها تبقى حركة تتبنى من حيث الجوهر نفس الأيديولوجية الدينية وتسعى لإقامة إمارة إسلامية.

بدأت طالبان في أعقاب سيطرتها على أفغانستان في طرح رؤى وتوجهات مختلفة إلى حد ما عن التوجهات والرؤى التي طبقتها أثناء حكمها لأفغانستان بين عامي 1996 و2001؛ ففي أول مؤتمر صحفي عقده الناطق باسم طالبان «ذبيح الله مجاهد» في 17 أغسطس 2021 أشار إلى أن طالبان لن تقوم بتصفية حسابات مع أي أطراف في أفغانستان، وأن أراضي أفغانستان لن تُستخدم من أجل إلحاق الضرر بالآخرين.

ولفت إلى صدور قرار بعفو عام يشمل الجميع، بما في ذلك المواطنون الذين عارضوا طالبان، والجنود الذين انخرطوا في الحرب ضدها، وكذلك الذين تعاونوا مع الحكومة الأمريكية، مثل المترجمين وغيرهم. كما أكد أن السفارات والبعثات الدبلوماسية مؤمَّنة، وطمأن ممثلي البعثات الدبلوماسية بأنهم لن يتعرضوا لأذى.

وبخصوص وضع المرأة، أشار إلى أن حقوق المرأة ستكون محفوظة وفق الشريعة الإسلامية، وأنه سيكون هناك حضور نشط للمرأة الأفغانية في عديد من المجالات. كما أكد على أن الحكومة الجديدة ستعمل على خدمة مصالح الناس، ولن تسمح لأي جهة بإثارة النعرات الأثنية وبالإضافة إلى ذلك، ناشد

المجتمع الدولي بتقديم المساعدة لأفغانستان من خلال الاستثمارات وتقديم المساعدات المادية؛ حتى تتمكن البلاد من إنهاء زراعة وتجارة المخدرات [13].

مواقف دول الجوار من عودة طالبان إلى الحكم:

حكمت الجغرافيا على أفغانستان بأن تكون دولة حبيسة، لا يوجد لها منفذ بحري، محاطة بجوار ست دول، بحدود تتعدى 5900 كيلومتر، متفاوتة الطول والتضاريس. أطول الحدود الأفغانية تقع شرقًا وجنوبًا مع باكستان، وأقصرها تقع شرقًا أيضًا مع الصين، ويتفاوت طول حدودها الغربية مع إيران، والشمالية مع كل مع «طاجيكستان» و«أوزبكستان» و«تركمانستان»، وهي 3 دول حبيسة أيضًا استقلت عن «الاتحاد السوفياتي» السابق مطلع تسعينيات القرن الماضي [14].

إيران والعلاقة مع طالبان:

كانت العلاقة بين «إيران» و«طالبان» في مسار غير مستقر، وبعد الانتصار السريع نسبيًّا لحركة طالبان عام 1996، توجهت إيران إلى دعم معارضي الحركة وهي القوى الشمالية تحت مسمى «تحالف الشمال» أو «جبهة الشمال»، وفي فترة التسعينيات، كانت لإيران علاقات عدائية مع طالبان، وقد زادة حدة العداء بين الطرفين بعد أن هاجمت طالبان الشيعة الهزارة في أفغانستان، وكانت ذروة المواجهة الاستيلاء على القنصلية العامة لإيران في «مدينة مزار الشريف» الأفغانية في أغسطس/ آب 1998، حيث قتلت طالبان العديدَ من أفرد الهزارة الشيعة، مواطنين إيرانيين ودبلوماسيين [15].

لكن بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان وإسقاط نظام طالبان، تغيرت العلاقة بين الطرفين؛ إذ ساهم العدو المشترك لإيران وطالبان، المتمثل بأمريكا في تقارب الطرفين، وجاء التغيُّر على يد الرئيس الإيراني «محمود أحمدي نجاد» الذي تولّى الرئاسة الإيرانية عام 2005، ففي هذه الفترة عزَّزت إيران علاقاتها مع

طالبان، وتحوّلت العلاقة من العداء الكامل إلى الصداقة البراغماتية متعددة الجوانب [16].

التقارب الذي وضعَ أُسُسه الرئيس الإيراني السابق «محمود أحمدي نجاد»، جاء وفق معادلة: «محاربة القوات الأميركية والنفوذ الغربي في أفغانستان»، وشملت تقديم دعم لوجستي وتدريب عسكري متنوِّع متقدِّم؛ حيث شمل إنشاء طالبان بعض معسكرات التدريب في المدن الإيرانية حسب ما تقول مصادر إعلامية معادية لإيران.

تسارعت العلاقات بين الجانبين وخاصة بعد العام 2020م بعد الحديث الأمريكي عن الانسحاب من أفغانستان، فقد عبرّت إيران في أكثر من مناسبة، عن أن أمن أفغانستان من أمن إيران، مع تشديدها على أن «حركة طالبان جزء من النسيج الأفغاني».

إلى جانب استقبال «طهران» لجولات من المباحثات بين «طالبان» والحكومة الأفغانية، فإن مؤشرات متعدّدة يمكن رصدها، تشير إلى تبدّل في العلاقات بين «إيران» و«طالبان»، بعد أن كانت وصلت إلى شفير الحرب عام 1998 مع قتل الدبلوماسيين الإيرانيين في حينه. التبدُّل في مسار العلاقة يرتبط بالتغيرات التي طرأت على بنية «طالبان» وهيكليتها، ومشروعها أيضاً، وعلى الضمانات التي يمكن أن تقدمها في الداخل الأفغاني وخارجه، باعتبار أن لهما الأهمية نفسها بالنسبة إلى «إيران»، في الوقت الذي تحدثت عدة تقارير غربية عن تعاون أمني نشأ في السنوات الأخيرة بين قادة في «طالبان» و«إيران»؛ لمواجهة القوات الأميركية [17].

الصين والموقف من سيطرة طالبان:

جغرافياً واستراتيجياً، تقع أفغانستان في نقطة ساخنة تربط الشرق الأوسط ووسط وجنوب آسيا وأوروبا. عمّقت كل من باكستان وإيران علاقتهما مع «بكين» في إطار مبادرة «الحزام والطريق»، وتعتبر الممرات الاقتصادية الصينية الباكستانية من المشاريع الاستراتيجية ذات الأهمية الكبيرة، ويعد بناء

مطار «تاكسكورغان «على هضبة «بامير» في منطقة «الإيغور» الذاتية الحكم في «شينغيانغ» استثماراً طويل الأجل، وهي المدينة الوحيدة في الصين على حدود 3 دول هي: طاجيكستان، وباكستان، وأفغانستان [18].

حيث تسعى «بكين» للحصول على موطئ قدم في أفغانستان، انطلاقاً من مشروع «الحزام والطريق» في أعقاب الانسحاب الأميركي من البلاد، وهي تعمل بالفعل على بناء علاقات مع جميع الجهات الفاعلة ذات الصلة في أفغانستان، وتحاول إبعاد «طالبان» عن دعم مسلمي «الإيغور» في مقاطعة «شينجيانغ» الصينية.

وبناءً على مفهومها لـ«قوى الشرّ الثلاث»، المتمثلة في (التطرف، والإرهاب والانفصالية)، تلتزم الصين بقمع أي نشاط يهدد بتحويل «شينغيانغ» إلى بؤرة للتطرّف والإرهاب، وستحاول تقديم حوافز اقتصادية لـ«طالبان»؛ لضمان دعمها مبادرة «الحزام والطريق» في باكستان وأفغانستان.

يقول بعض الخبراء أن من الأهداف الأمريكية للانسحاب من أفغانستان، هو أن تصبح أفغانستان المستنقع الجيوسياسي للصين، وأن تكون «بكين» القوة التالية؛ في محاولة لملء الفراغ في أفغانستان، ويمكن أن تصبح هذه الخطوة فخاً أميركياً إذا فشلت الصين وغرقت في المستنقع الأفغاني، ربما ستكون أفغانستان اختباراً جيوسياسياً مهماً لبكين.

في 28 من تموز/ يوليو 2021م أعلن متحدث باسم حركة طالبان أن وفداً من قادة طالبان التقى في الصين وزير الخارجية الصيني ومسؤولين من الدبلوماسية الصينية. وقال المتحدث «محمد نعيم»، إنه خلال هذه الزيارة عقد الوفد المؤلف من تسعة أعضاء بقيادة المسؤول الثاني في حركة طالبان الملا «عبد الغني بارادار» لقاءات منفصلة مع وزير الخارجية الصيني «وانغ يي» ونائب وزير الخارجية والممثل الصيني الخاص لشؤون أفغانستان.

وأكد نعيم لوكالة «فرانس برس» في كابول، أن وفد الحركة أكد للصين أن الأراضي الأفغانية لن تُستخدم ضد أمن أي بلد كان، مضيفاً أن المسؤولين الصينيين «وعدوا بعدم التدخل في الشؤون الأفغانية، إنما على العكس المساعدة في حلّ المشاكل وإرساء السلام»[19].

روسيا والموقف من سيطرة طالبان:

بالنّسبة إلى روسيا، العلاقة مع جيران أفغانستان في «آسيا الوسطى» هي استمرار منطقي لعملية التكامل داخل الاتحاد الاقتصادي الأوراسي. ولا ترغب «موسكو» في وجود القواعد الأميركية في محيطها؛ لذلك، هناك إجراءات وتدابير منسقة بين «بكين» و«موسكو» في ما يتعلق بأفغانستان وآسيا الوسطى، ربما في إطار منظمة معاهدة الأمن الجماعي ومنظمة شنغهاي للتعاون أو بشكل ثنائي.

خلال الأشهر الماضية قام وفد من «حركة طالبان» بزيارة رسمية إلى «موسكو»، تم خلالها اللقاء مع وزير الخارجية الروسي «سيرجي»، الذي أكد أن «موسكو» حريصة كل الحرص على عدم تواجد أي عناصر إجرامية ومتطرفة في أفغانستان، وحرص «روسيا» على أمنها وأمن حلفائها في الجوار الأفغاني، فيما أكد وفد «حركة طالبان» بأن بلدهم لن تتحول إلى مهدد لأي بلد إطلاقًا، ولن تسمح الحركة بأي تواجد إرهابي على أرضها.

وقد أبدت الصين وروسيا وإيران، إشارات انفتاح على طالبان، حيث سارعت «بكين» و«موسكو» إلى الإعلان عن استعدادهما لإقامة علاقات طبيعية مع قادة الحركة بعد سيطرتها على كابول.

قلق أوروبي:

الاتحاد الأوروبي حذر «حركة طالبان» من أنها ستواجه مقاطعة من المجتمع الدولي إذا استولت على السلطة بالقوة، لكنه أكد الحاجة للعمل مع طالبان في الوقت الحالي دون الاعتراف بها، ووضع عدة شروط يجب على الحركة تنفيذها أولا.

وتتمثل الهواجس الأوروبية في بعدين، الأول: الإرهاب، والثاني: تدفق اللاجئين، والذي يعد الأهم بالنسبة للاتحاد الأوروبي؛ لذا فإن تركيز الاتحاد على منع تدفق الهجرة غير الشرعية قد يمثل ورقة ضغط في صالح طالبان، بإمكانها الحصول من خلالها على مساعدات مالية أو التمكن من الوصول إلى

الاحتياطات النقدية الخارجية، إذ يخشى الاتحاد تدفقاً هائلاً للاجئين، ومن المحتمل أن يكون هذا السيناريو وارداً في حال انهيار الاقتصاد.

خـــتامًا:

رغم نجاح «حركة طالبان» عسكرياً في السيطرة على «أفغانستان» وسياسياً بإعلانها عن تشكيل حكومة تصريف أعمال، إلا أن المؤكد أن الحركة تواجه اقتصاداً يوشك على الانهيار في بلد يواجه أزمة إنسانية، لكنها تسعى في المقابل للحصول على الاعتراف الدولي بشرعيتها، والحصول على مساعدات اقتصادية والوصول إلى الاحتياطيات المالية لأفغانستان المجمدة في البنوك الخارجية.

وفي حين يتواصل التشكيك في نوايا الحركة وسلوكها السياسي والمجتمعي، تواصل طالبان إرسال التطمينات للمجتمع الدولي ودول الجوار على مختلف المستويات، لكن الواقع هو: من سيحكم على جدية تغير الحركة ومواكبتها لمتطلبات العصر، أو زيادة المخاوف والشكوك والعودة إلى نقطة الصفر؟

قائمة المراجع:

(1) الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org

(2) السفير من كابول إلى البيت الأبيض رحلتي عبر عالم مضطرب، لزالماي خليل زاد، السفير الأمريكي السابق في أفغانستان، ص 123.

(3) موسوعة عريق - طالبان حركة قومية دينية سياسية https://areq.net

(4) نفس المصدر السابق.

(5) من هم قادة حركة طالبان 2021/8/15

https://www.aljazeera.net

(6) من هم أبرز حركة طالبان https://www.france24.com/ar

(7) حركة «طالبان» تمول عملياتها في أفغانستان من صناعة المخدرات

https://www.france24.com

(8) حركة طالبان.. النشأة والفكر والتنظيم 2021/8/16

https://www.aljazeera.net/encyclopedia

(9) القاعدة وطالبان التقارب المشروط

http://aman.dostor.org/show.aspx?id=14265

(10) مركز دراسات الشرق الأوسط بباريس «سيمو»، مستقبل الصراع بين «داعش» و«طالبان» في أفغانستان

https://www.almarjie-paris.com/2281

(11) المصدر السابق.

(12) المصدر السابق.

(13) أول مؤتمر صحفي لحركة طالبان.. 5 رسائل مهمة

https://www.skynewsarabia.com

(14) أفغانستان في حسابات الجيران.. طموحات اقتصادية وهواجس أمنية

https://www.aljazeera.net/news/politics

(15) طالبان وإيران.. طبيعة العلاقة ونقاط التوافق والخلاف بين الطرفين

https://www.noonpost.com/content/41329

(16) نفس المصدر السابق.

(17) «طالبان» بين الداخل والخارج... أمر واقع وترتيب مصالح مشتركة

https://www.almayadeen.net/news/politics

(18) «طالبان» في كابول.. ما موقف موسكو وبكين؟

https://www.almayadeen.net

(19) «طالبان» من بكين: لن نستخدم أفغانستان لاستهداف أمن دول أخرى

https://www.almayadeen.net

منتدى مجال

سياسي - اجتماعي - استشاري